IUGJEPS
Vol 30, No 3, 2022, pp890-919
ISSN 2410-5201
مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (31-1-2021)، تاريخ قبول النشر (11-9-2021)

موازنة تفسيرية بين آيات العجب المتشابهة

اسم الباحث: د. محمد حسام عبد الكريم عبد العزيز * 1

1 اسم الجامعة والبلد: جامعة طيبة- السعودية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: dr.mohdhusam@yahoo.com

//doi.org/10.33976/IUGJIS.30.3/2022/31

الملخص:

تناول هذا البحث دراسة الآيات المتشابهة في موضوع العجب، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينها، ونفي التكرار غير المفيد عنها، حيث جاء هذا التشابه جليًّا بين كل آيتين لهما علاقة بلفظ العجب، وكانت هذه الآيات متنوعة في مقدار هذا التشابه ونسبته، فمن الآيات ما كان مطابقًا للتشابه لآية أخرى في كل حروفها عدا حركة حرف، ومنه ما كان التشابه في نصف ألفاظها، ومنه ما كان التشابه في معظم ألفاظها عدا أحرفًا يسيرة، وقد جاءت الدراسة بنتائج؛ منها: إثبات العجب لله تعالى صراحة في القرآن، وإثبات تواتر القراءة المتوهم ضعفها، ودلالة الجمل المكررة، وأن العجب جاء على ثلاثة معان في القرآن: إحداها الاستحسان والرضا، وثانيها: الإنكار والاستبعاد، وثالثها: الغرابة والدهشة. وأن منشأ تعجب الكفار من دعوة الإسلام أنها جاءت على غير عادتهم، ومخالفة لأسلافهم. وأيضًا بطلان القول بالأصلح عند المعتزلة.

وخرجت الدراسة بتوصيات، منها: الإكثار من دراسة الآيات المتشابهة في أي موضوع قرآني، واستخراج المعاني والدلالات ذات العلاقة بين هذه الآيات.

وقد جاء البحث مبنيًّا على المنهج الاستقرائي، ثم التحليلي والاستنباطي.

كلمات مفتاحية: موازنة، تفسيرية، آيات، العجب، المتشابهة.

An interpretive balance between similar verses of wonder

This research aims to study of similar verses on the subject of wonder, and to clarify the points of agreement and difference between the verses, and to deny the unhelpful repetition about them, as this similarity was evident between every two verses that have a relationship to the expression of wonder, and these verses were varied in the extent and proportion of this similarity. Some verses were identical to the resemblance to another verse in all its letters except for the movement of a letter, and some of the similarity was in the half of its vocabulary, and some of it was similarity in most of its vocabulary except for small words, and the study came with results, including: proof of the wonder of God Almighty in the Qur'an explicitly, and proof of this reading is correct which is illusory of its weakness. and that the wonder came to three meanings in the Qur'an: one of them is approval and satisfaction, and the second of them: denial and exclusion, and the third of them: astonishment and strange. and that the origin of the exclamation of the infidels from the call of Islam was that it came against their habit and contradicted their ancestors. Also the invalidity of the saying of the fittest according to the Mu'tazila.

The study came out with recommendations, including: to increase the study of similar verses on any topic of the Qur'an, and to extract the meanings and connotations related to these verses. The research was based on the inductive method, then deductive analytical method.

Keywords: interpretive, versrs, balance, wonder, similar.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وآله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد، فإن التشابه اللفظي في القرآن الكريم لون من ألوان بلاغته، وسر من أسرار إعجازه، والموفق من وقف على هذه المتشابهات، وتأمل تلك المكررات، فاستنبط منها فوائد جليلة، وفرائد جميلة، واستشعر عظمة هذا القرآن الكريم، وعلم أنه " ليس فيه تكرير محض"[1]، بل لا بد من فائدة تناسب كل خطاب، فالتكرار البليغ المقتضي للحال، المناسب للسياق والمآل مثبت في لغة العرب، وبلغ أوجه كأسلوب من أساليب القرآن الكريم، أما التكرار الركيك الخالي من المعاني الثانوية فمنزه عنه القرآن، وبعيد عنه كل البعد، ولو كان فيه شيء من هذا، لأنكر العرب الأقحاح فصاحة القرآن وبلاغته، وأبطلوا إعجازه؛ لكنهم لم ينكروا تكراره، بل أقروه وبهروا به. وإليك التطبيق العملي على ذلك في هذا البحث.

الدراسات السابقة:

كثرت الكتابات في المتشابه اللفظي من حيث التأصيل والتطبيق، وأُلف أيضًا في موضوع العجب في القرآن الكريم، فمن ذلك:

1/ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، لمؤلفه: صالح عبد الله الشثري، وهي رسالة دكتوراه، تناول فيه المؤلف تراث أهل العلم في توجيه المتشابه اللفظي، وقسّم المتشابه إلى قسمين: في الكلمة وفي التراكيب، إلا أنه لم يتعرض للتشابه في القراءات المتواترة، ولا لبعض الصيغ الواردة في موضوع العجب.

2/المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، لمؤلفه د. محسن علي الشهري، حيث أصّل لموضوع المتشابه، وذكر مصنفاته، وأهميته وفوائده ونماذج منه، إلا أنه لم يتعرض لجلّ النماذج الموجودة في هذا البحث.

أما ما ألّف في موضوع العجب، فمن ذلك:

*التعجب في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية موضوعية، لمؤلفه وليد العتيبي، وهي رسالة ماجستير، تناول فيها الباحث أساليب التعجب في القرآن، وأقسامه، والمتعجب منه، ومقاصده في فصول متعددة، إلا أنه لم يخص ببحثه آيات العجب المتشابهة وبيان دقائقها.

ومع هذا فإن المتشابه اللفظي لا تنضب موارده على كثرة البحث فيه ودراسة مسائله، بل ينهل منه بين الفينة والأخرى. ولم أجد دراسة خاصة لآيات العجب الثنائية المتشابهة، وتبيان ما فيها من موافقات ومفارقات، مع ذكر بعض من فوائدها.

مشكلة البحث:

المشكلة التي تعالجها الدراسة تظهر في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

السؤال الرئيس: هل هناك فائدة من وجود تشابه في آيات العجب؟ ويتفرع عنه أسئلة:

1() أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (408/14)

ما الآيات الثنائية المتشابهة في موضوع العجب؟ وهل هناك فرق في معنى العجب بين هذه الآيات؟ وما مدى تطابق هذا التشابه؟ وما نسبة الاختلاف فيما بينها؟ وهل لهذا الاختلاف والاتفاق دلائل وفوائد؟ وهل هناك تكرار غير مفيد فيما بينها؟

أهداف البحث:

تظهر أهداف البحث فيما يأتي:

- تحديد الآيات الثنائية في موضوع العجب (سيأتي في خطة البحث)
- اتفاق الآيات الثنائية في معنى العجب، واختلافها بالمقارنة مع غيرها من الآيات.
- مجيء هذا الاتفاق والاختلاف على درجات، فمنه ما هو يسير جدا، ومنه ما هو كبير.
- بيان الفروق الخفية فيما تكرر، والفروق الدلالية فيما اختلف وتفرق.
- بيان أنه لا تكرار غير مفيد في القرآن الكريم.

حدود البحث:

الوقوف على تفسير آيات العجب الثنائية المتشابهة، وبيان ما فيها من أوجه اتفاق واختلاف، مشفوعًا بذكر بعض الفوائد التفسيرية، ونفي التكرار المذموم.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي ثم التحليلي والاستنباطي لآيات العجب المتشابهة وما يتعلق بها، من خلال:

1- عزو الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية بعد ورودها مباشرة.

2- بيان أقوال المفسرين مع اختصارها ما أمكن، وهذا يحتاج إلى استقراء وتتبع.

3- الموازنة بين هذه الأقوال، ومحاولة الجمع بينها أو الترجيح إن تعذر الجمع، وهذا يحتاج إلى تحليل واستنباط.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة

المقدمة: وتحتوي على تمهيد في المعنى اللغوي لكلمة (العجب) وصور استخدامها في القرآن الكريم

المبحث الأول: الموازنة بين قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾(الصافات:12) ودلالتهما

المبحث الثاني: الموازنة بين قوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:63)، وقوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:69) ودلالتهما

المبحث الثالث: الموازنة بين قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (ص:4)، وقوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (ق:2) ودلالتهما

المبحث الرابع: الموازنة بين قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، (التوبة:55)،، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة:85) ودلالتهما

والله أسأل أن أوفق في إيصال فكرة البحث لقارئه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد: في بيان المعنى اللغوي لكلمة العجب

(عجب) "العين والجيم والباء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على كبر واستكبار للشيء، والآخر خلقة من خلق الحيوان"[1]، وهي: أصل الذَنَبِ[2]. والمعنى الآخر لا يعنينا في هذا البحث.

والاعتماد على هذا التأصيل اللغوي لمادة العجب ينبني عليه معانٍ أخرى متفرعة عن المعنى الأول، مثل المبالغة في الذم أو المدح[3].

فمن معاني العجب: "إنكار ما يَرِد عليك، لقلة اعتياده، ويقال فيه: العجب، وجمعه إعجاب. ويقال: عجب، وتعجب، واستعجب، والاسم: العجيبة، والأعجوبة. وأعجبه الأمر: حمله على العجب منه. وأمر عجيب، وعُجْب، وعُجاب على المبالغة"[4].

ويطلق العجب على الشيء استحسانًا، تقول: شيء مُعجِب: أي: "حسن، وأعجبني وأعجبت به، وفلان معجب بنفسه: إذا دخله العجب، واستحسن نفسه على غيره"[5]. وقيل: هو "الأمر الغريب الذي قد تجاوز الحد"[6].

وقد قيل: "العَجب بالفتح[7]، أصل الذنب، ومؤخر كل شيء، وبالضم: الزهو والكبر"[8].

وعلى هذا يكون التعجب حدوث تغيير في النفس لأمر غير متوقع حصوله أو لم يتعود عليه، مما ينتج عنه إكبار ذلك الشيء استحسانًا أو إنكارًا أو دهشة.

صور استعمال العجب في القرآن الكريم

ورد استعمال مادة (العجب) ومشتقاتها سبعًا وعشرين مرة في القرآن الكريم، تفيد أن معنى (العجب) له عدة معانٍ بحسب السياق التي وردت فيه، فأساس العجب غالبًا هو" ما لا يعرف سببه، أو حالة تعرض عند الجهل بسبب

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، (243/4).

(2) نديم مرعشلي، تقديم: عبد الله العلايلي، الصحاح في اللغة والعلوم، ص3270.

(3) عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، (229/3)

(4) الحسن بن عبد الله القيسي، تحقيق: د. محمود الدعجاني، إيضاح شواهد الإيضاح، (400/1). وانظر: ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، (338/1). وانظر: ابن منظور، لسان العرب، (580/1).

(5)الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، (235/1).

(6) ابن سيده المرسي، المخصص، (369/3).

(7) والضم أيضا، انظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس، (317/3).

(8)الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (112/1)

الشيء"[1]، وينتج عن ذلك أحد ثلاثة معان: إحداها: الاستحسان والرضا، وثانيها: الرفض والإنكار، وثالثها: الاستغراب والدهشة.

فمن الآيات التي تحمل معنى الإنكار والرفض[2]:

1/ قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ١٢﴾ (الصافات: 12)

2/ قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ١٢﴾ (الصافات: 12)

3/ قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف:63)

4/ قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩ ﴾ (الأعراف: 69)

5/ قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (ص: 4)

6/ قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (ق: 2)

7/ قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الرعد: 5)

8/ قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ (النجم: 59)

9/ قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (هود:73)

10/ قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص: 5)

11/ قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس: 2)

12/ قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (هود: 72)

ومن الآيات التي تحمل معنى الاستحسان والرضا:

1/ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ ﴾ (الحديد: 20)

2/ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ ﴾ (البقرة: 221)

3/ قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ (التوبة: 25)

4/ قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: 100)

(1) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، (20/4)

(2) أخذ هذا المعنى والذي بعده من خلال النظر الظاهري للآيات من قبل الباحث، وسيأتي تفسير بعضها في صلب البحث.

5/ قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ (الأحزاب: 52)

6/ قال تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: 55)

7/ قال تعالى: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة: 85)

8/ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ (المنافقون: 4)

9/ قال تعالى: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ (الفتح: 29)

10/ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ (البقرة: 204)

ومن الآيات التي تحمل معنى الغرابة والدهشة:

1/ قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف: 9) والمعنى: "لا تتعجب منها ولا تستغربها"[1].

2/ قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا﴾ (الكهف: 63) والمعنى: " عجب موسى من أثر الحوت في البحر"[2].

3/ قال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ (الجن: 1) والمعنى: قرآنا "عزيزًا لا يوجد مثله"[3].

المبحث الأول: الموازنة بين قوله تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢﴾ وقوله تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبۡتُ وَيَسۡخَرُونَ ١٢﴾ (الصافات:12) ودلالتهما

مناسبة الآيتين لما قبلهما: لما ذكر سبحانه آياته الكونية في قوله تعالى: " إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظا من كل شيطان مارد... فاستفتهم أهم أشد خلقا ام من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب" (الصافات: 6-7،10)، التي تستحق أن يتعجب منها من تزيين السماء بالكواكب[4]، وحفظها من المردة، وبيّن ضعف الإنسان وحقارة خلقه بالنسبة للملائكة والسماوات والأرض، أتبع ذلك بأمر يستحق أن يتعجب منه أكثر، وأولى أن يلتفت إليه أشد، وهو آياته الشرعية وإنكار الكفار لها.

(1) سعيد حوى، الأساس في التفسير، (3164/6)
(2) يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، (197/1)
(3) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، (461/4)
(4) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (465/4).

وقد يقال: إن الكفار يقرون بأن الله سبحانه قادر على ما هو أصعب من إعادة الاجسام إلى الحياة، ومع ذلك بقوا مصرين على الكفر والعناد، وهذا أمر يستحق العجب منه[1].

ويشهد لهذه المناسبة كلمة (بل) الدالة على الإضراب، بترك الكلام السابق، والنظر في الكلام اللاحق، "كأنه قال: دع يا محمد ما مضى"[2].

وأما مناسبتهما لما بعدهما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ**﴾ (الصافات: 13-14)، فهي تفصيل في بيان آيات الله الشرعية الأصيلة، وحال الكفار العجيب.

وقد ورد في هذين النسقين المتشابهين قراءتان، الأولى (عَجِبْتَ) بفتح التاء، والثانية (عَجِبْتُ) بضم التاء، وكلا القراءتين بمنزلة الآيتين، فأما الأولى فقرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب، وأما الثانية فقرأ بها حمزة والكسائي وخلف[3].

وقد مرّ أن أصل العجب في اللغة يدل على أحد أمرين: إحداهما: " كبر واستكبار للشيء، وثانيهما: خِلقة من خِلق الحيوان"[4]، والمعنى الثاني لا يمكن قبوله في هذا المقام؛ لأن المتعجب هو الله تعالى، أو محمد-صلى الله عليه وسلم-.

فأما المعنى الأول فيحتاج إلى تفصيل بحسب ماهية المتعجب والأمر المتعجب منه، فإن كان المتعجب هو محمد-صلى الله عليه وسلم-فالمقصود بالعجبِ " استعظامُ الشيء، مع خفاء سبب حصوله في الغالب، وقد تستعمل للاستعظام من غير خفاء السبب"[5]، وذلك بحسب الأمر المتعجب منه، فإن كان الأمر المتعجب منه هو القرآن والوحي أو قدرة الله الباهرة في إيجاد مخلوقاته، فيكون معنى التعجب هو استعظام هذه الأمور على سبيل المدح، فالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقدرة الله لا توازيها قدرة. وأما إن كان المتعجب منه إنكارُ الكفار للبعث، فيكون المعنى استعظام هذا الفعل على سبيل الذم.

وعلى القراءة الثانية (عَجِبْتُ) يكون المتعجب هو الله سبحانه وتعالى، وعجب الله سبحانه ليس كعجب المخلوقين، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١**﴾ (الشورى:11)، "والعجب من الله تعالى هنا قد يكون بمعنى الإنكار والذم، إن كان الأمر المتعجب منه هو تكذيب الكفار، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا"[6]، إن كان الأمر المتعجب منه هو آياته الشرعية والكونية.

(1) انظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، (323/26).
(2) علي الواحدي، التفسير الوسيط، (522/3).
(3) انظر: أبو بكر بن مجاهد التميمي، السبعة في القراءات، (547/1). وانظر: محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، (356/2).
(4) أحمد بن فارس القزويني، مقاييس اللغة، (243/4)، مادة (عجب).
(5) محمد بن عمر المشهور بالفخر الرازي، التفسير الكبير، (207/5).
(6) الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، (27/4)

"وعَجبه–تعالى ذكره–مخالف للعجب من عباده؛ لأن العجب من الخلق، إنما هو أن يطرأ عليهم ما لا يظنون، وهذا لا يضاف على الله تعالى؛ لأنه تعالى عالم بجميع الأشياء، ولكن معناه: بل جعلته عجبًا، ورأيتُ من أفعالهم ما يتعجب منه، وظهر منه عجب"[1].

وقد أنكر بعض التابعين ومنهم شريح القاضي، قراءة (عَجِبْتُ)، وبيّن أنه لا يجوز على الله العجب، إنما يعجب من لا يعلم. وقد ردّ عليه إبراهيم النخعي–وهو من التابعين–إنكاره لهذه القراءة، وبيّن أنه سمع عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–يقرأ بها[2].

قلتُ: وسبب إنكار هذا التابعي الجليل–إن صح هذا الإنكار–عدم سماعه لهذه القراءة، وسماعه للقراءة الأخرى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن القراءة التي أنكرها لا تتوافق–في ظاهرها–مع تنزيه الله تعالى عن العجب المستلزم للظن والغرابة، والمناقض لعلمه سبحانه الأزلي بكل شيء، وخاصة أنه لم يرد في القرآن الكريم إثبات العجب لله تعالى صراحة إلا في هذه الآية.

وحتى يدفع هذا الوهم عن كل منكر لهذه القراءة لابد من إقامة الحجة عليه، وتعريفه بصحة القراءة الثانية، كما حصل مع الصحابي الجليل عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–، حينما بيّن له النبي–صلى الله عليه وسلم–صحة قراءته، وقراءة حكيم بن حزام في سورة الفرقان، وأنه لا تناقض بينهما، وإنما هو اختلاف تنوع في المعاني والألفاظ، وأيضًا أنه قد ورد في السنة النبوية إثبات العجب لله سبحانه، فمن ذلك، قوله–صلى الله عليه وسلم–: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل"[3]، و" لقد عجب الله عز وجل من فلان وفلانة"[4]، ولا يلجأ بعد ذلك للتأويل المذموم الذي ينفي صفة العجب عن الله تعالى، ويفسر عجب الله بأنه تعظيم الجزاء، وأنه أراد بذلك سرعة مجازاتهم، أو إيقاع العقوبة العظيمة عليهم بسبب الإقامة على الكفر[5]، أو أن العجب غير موجود على الحقيقة، وإنما يفرض ويتخيل[6].

(1) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، (6088/9). قلتُ: والأصح أن ينسب إلى الله التعجب مع تنزيهه عن النواقص والعيوب كالجهل والشك.

(2) انظر: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (3207/10)، وانظر: جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (82/7)، وقد جاءت هذه الرواية من طريق الأعمش عن شقيق بن سلمة عن شريح. قلتُ: والأعمش ثقة إلا أنه يدلس، وعلى هذا فلا تقبل منه هذه الرواية؛ لأنه لم يصرح بلفظ التحديث، وإنما اكتفى بالعنعنة. انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (182/4)..

(3) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل، رقم الحديث: 3010، ج: 4، ص:60.

(4) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)، رقم الحديث: 4889، ج: 6، ص: 148.

(5) سهل بن عبد الله التستري، تفسير التستري، (55/1).

(6) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (37/4). عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (537/3)، والرازي، التفسير الكبير، (141/1)، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في علم التفسير، (94/9).

وخلاصة القول أن المراد من عجب الله تعالى عمومًا هو ما ينبئ به-سبحانه-في حق المتعجَّب منه من التعظيم المذموم أو المحمود. وأما عن بيان **الأمر المتعجب منه** في هاتين الآيتين، فإن كان المتعجِّب محمدًا-صلى الله عليه وسلم-ففيها عدة أوجه، منها:

-القرآن، والمعنى: " عجب محمد من هذا القرآن الذي أعطيه"[1]. قلتُ: ويشهد أن القرآن أمر عجب قوله تعالى: ﴿**فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١**﴾(الجن:1)، وقوله تعالى: ﴿**أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ**﴾ (النجم:59)

-الوحي، والمعنى: " بل عجبت من نزول الوحي عليك ويسخرون"[2]. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿**قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣**﴾ (هود:73)

-إنكار الكفار للبعث، والمعنى: " بل عجبت من إنكارهم البعث"[3]. ويشهد له قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥**﴾(الرعد:5)

-قدرة الله، والمعنى: " بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة"[4].

وإن كان المتعجب هو الله سبحانه، ففيها عدة أوجه، منها:

-تكذيب الكفار[5].

-ذنوبهم، والمعنى: " عظم حلمي عن ذنوبهم"[6].

-آيات الله الشرعية والكونية، والمعنى: "بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها"[7].

وفي قوله تعالى: (وَيَسۡخَرُونَ) "بيان حال الكفار المستمر في الاستهزاء من الرسول-صلى الله عليه وسلم-إذا دعاهم، ومن القرآن إذا تلي عليهم"[8]. فدلالة هذه الجملة الحالية المكررة، أنهم يسخرون على أي حال، بل ومستمرون في السخرية.

وخلاصة القول في هاتين الآيتين أن المراد من تعجب الله تعالى وتعجب رسوله-صلى الله عليه وسلم-فيها هو استعظام آيات الله تعالى مدحًا، واستعظام فعل الكفار ذمًّا، والإنكار عليهم عدم الإيمان رغم توفر الدواعي، إلا أن تعجب الله تعالى منزه عن الجهل بالأشياء قبل وقوعها. وأن التكرار وقع في الألفاظ الآتية: (بل) و(عجب) و(يسخرون)، للتأكيد على وقوعها على النحو الآتي،-ويُعَدُّ هذا من باب الاختلاف في القراءات-.

(1) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، (23/21).

(2) انظر: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، (363/8)

(3) إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (300/4)، عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز،(467/4)

(4) الزمخشري، الكشاف، (37/4).

(5) الواحدي، التفسير الوسيط، (523/3)

(6) منصور بن أحمد السمعاني، تفسير القرآن، (394/4)

(7) الزمخشري، الكشاف، (37/4)

(8) علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، (41/5)

فأما تكرار (بل) فيفيد التأكيد في الإضراب عن الآيات الكونية–على أهميتها–، وضرورة الالتفات إلى آيات الله الشرعية. وأما تكرار (عجب) فيفيد التأكيد على وقوع الإنكار من الله تعالى مرة، ومن رسوله–صلى الله عليه وسلم– مرة أخرى، فالعجب الذي بمعنى تعظيم الإنكار قد وقع مرتين باسم الشارع الحكيم–أي: المشرّع لهم. وأما تكرار (ويسخرون) فأفادت أن السخرية لم تكن في شيء واحد، وإنما في غير ما شيء، فقد سخروا من الرسول–صلى الله عليه وسلم–ومن القرآن، ومن الدين، ومن اتخاذ إله واحد.

المبحث الثاني: الموازنة بين قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:63)، وقوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩﴾ (الأعراف:69)

ودلالتهما

سباق ولحاق الآية الأولى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥٩ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الأعراف:59–64)

سباق ولحاق الآية الثانية:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ (الأعراف:65–70)

في مناسبة الآيتين لما قبلهما وما بعدهما: أنهما جاءتا تبيانًا لموقف الكفار من دعوة أنبيائهم نوح وهود–عليهم الصلاة والسلام–، وهو التعجب من دعوتهم، وتضمن ذلك إنكار الأنبياء موقف أقوامهم منهم، رغم وجود صوارف التعجب وموانعه.

ولما كانت الآيتان فيهما تشابه واختلاف، جُزّئ تفسيرهما إلى جزءين، كالآتي:

أولًا: تفسير الجزء المتشابه، وهو قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ "الهمزة للإنكار، والواو للعطف"[1]، و(عجبتم) معطوف على محذوف، تقديره أفكّرتم وعجبتم،

وقدمت الهمزة الاستفهامية على واو العطف؛ لأن من حقها الصدارة، "والاستفهام هنا مراد به التقرير والتوبيخ، وعجبهم الذي وقع، إنما يراد به الاستبعاد والاستمحال"[2].

(1) الزمخشري، الكشاف، (115/2).

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، (416/2).

و(أن) حرف مصدري ونصب[1]، فتكون جملة (أَن جَآءَكُمۡ) في محل نصب على المفعولية، والتقدير: أعجبتم مجيءَ ذكرٍ.

وبيّنت الآية دواعي تعجب الكفار المشتركة من دعوة أنبيائهم بأمور، هي:

- مجيء ذكر لهم، والمراد بالذكر: "الرسالة والبيان"[2]، فهم يرون عدم حاجتهم إليه.
- بيان مصدر الذكر (من ربكم)، وهم مؤمنون بوجوده وقدرته.
- بيان الوسيلة التي جاء بها الذكر (على رجل)، أي: مع رجل[3]، أو على لسان رجل[4]، ولعل مجيء حرف (على) ليدل على أن كل ما يأتي من الله تعالى فله حكم النزول[5]. وكأن لسان حالهم يقول: لماذا لم يكن ملكًا أو غير ذلك.
- بيان هوية هذا الرجل (منكم)، أي: تعرفون نسبه[6]، فهو من قبيلتكم، وهذا أدعى إلى معرفة سيئاته وخفاياه،-إن كانت عنده خفايا-.
- هدف الرجل إيصال النذارة لكم دون طلب أجر منكم، وهذا أمر مستغرب أن يفعل الإنسان شيئًا يتعرض فيه للأذى دون مقابل.

ويستفاد من هذه الجملة من القرآن، أنهم لم يعاقبوا على تعجبهم من دعوة أنبيائهم، وإنما استحقوا العذاب لما كذبوا الرسل وأصروا على الكفر، ودليله قوله تعالى: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ**﴾ (الأعراف: 64)، وقوله تعالى: ﴿ **فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ** ﴾ (الأعراف:72)

وعلى هذا فدلالة هذا الجزء المكرر من الآيتين إقامة الحجة على الفريقين، وأن هذه الدعوة هي دعوة الرسل كلهم، وأول اهتماماتهم، لا تتغير ولا تتبدل، على مرّ العصور والدهور، وللاهتمام بهذين القومين، فهما أول قومين يضرب المثل بهما في العتو والاستكبار منذ الأزل، وأيضًا لقرب العهد بينهما وغرابة وقوع هذا الفعل منهما.

ثانيًا: تفسير الجزء المختلف، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ** ﴾ في حق قوم نوح-عليه السلام-، **وقوله تعالى:** ﴿ **وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ** ﴾ في حق قوم هود- عليه السلام -

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ **وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ** ﴾

(1) انظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، (375/3).
(2) نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، (526/1)، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، (44/2).
(3) انظر: الطبري، جامع البيان، (501/12).
(4) انظر: الواحدي، الوجيز، (399/1).
(5) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (416/2).
(6) انظر:السمرقندي، بحر العلوم، (526/1).

لما كان المخاطب بهذه الآيات هم الكفار، جاءت هذه الجملة في غاية الترتيب، فإن المقصود من البعثة الإنذار، والمقصود من الإنذار التقوى، والمقصود من التقوى الفوز بالرحمة في دار الآخرة، فهي أمور مترتب بعضها على بعض.

فهي إذن مطالب مبنية بعضها على بعض، " فلا تحصل الرحمة إلا بالتقوى، ولا تحصل التقوى إلا بالإنذار. إلا أن هناك لفتة خفية في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾ ، وهي: التنبيه على أن التقوى غير موجبة للرحمة، فالترحم من الله سبحانه تفضل، وأن يحذر المتقي من الاعتماد على تقواه، والأمن من عذاب الله تعالى"[1].

ورغم أن التذكير بحال الأمم السابقة من الأمور المطردة في القرآن، إلا أنه لم يذكّرهم بذلك؛ لأنهم كانوا أول أمة يأتيها رسول، وقد ورد ذلك في حديث الشفاعة، حيث يقول أهل الموقف: "يا نوح، أنت أوَّل رسول إلى أهل الأرض، وسمَّاك الله عبداً شكوراً"[2]، بخلاف قوم عاد كما سيأتي.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

جاء على القول من نبي الله هود–عليه الصلاة والسلام– أنه لم يذكر في هذا المقام أمورًا كانت مطلوبة عند قوم نوح، وهي التقوى ورجاء الرحمة، ولعل سبب ذلك أنها ذكرت سابقا، فلا حاجة لإعادتها[3]، ولذلك كان خطاب قوم هود أكثر تفصيلًا من قوم نوح، ويظهر ذلك في أمور:

أولًا: تذكيرهم بأنهم خلفاء قوم نوح، وهذه منة عظيمة من الله تعالى، وهي سكناهم الأرض المملوكة لله سبحانه، والانتفاع من خيراتها وبركاتها، وسلبها من قوم نوح؛ لإصرارهم على الشرك والوثنية، فالواجب الحذر من الوقوع مما وقعوا فيه، ولعل سرّ ذكر قوم نوح لقرب العهد بينهما، وتواصل الأجيال في نقل أخبارهما[4].

ثانيًا: زيادة خلقتهم، وذلك إما بضخامة أجسامهم، وكمال طولهم وعرضهم عمن كان قبلهم، وإما بزيادة أجسامهم على أهل عصرهم فلا يقدرون عليهم[5].

ثالثًا: تذكيرهم بنعم الله رجاء الفلاح، وحتى يحصل الفلاح لا بد من أعمال صالحة تظهر شكرهم لله تعالى، ذلك أن تذكر النعم العظيمة يوجب الرغبة والمحبة وزوال النفرة والعداوة [6].

والتعبير بـ ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾ دلالة على أن تذكر النعم والعمل على شكرها غير موجب للفلاح، وإنما هو تفضل منه سبحانه.

---

(1) عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (18/3).

(2) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (إنا أرسلنا نوحا على قومه)، رقم الحديث: 3340، ج:4، ص: 134

(3) انظر :الرازي، التفسير الكبير، (301/14).

(4) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (301/14–302).

(5) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (417/2).

(6) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (301/14).

وخلاصة الكلام في الآيتين أن هناك كلامًا مكررًا، وكلامًا غير مكرر، أما الكلام المكرر فهو حصول إنكار التعجب الحاصل من الكفار، ودلالته أن هذا الفعل سنة جارية على الرسل على مرّ العصور؛ لأن الحجج التي منعت الكفار عن التوحيد حجج واهية، بل هي منشأ التعجب وأساسه.

أما الكلام غير المكرر فذلك لاختلاف الطريقة في الدعوة إلى الله تعالى، وأن الأسلوب قد يختلف من نبي لآخر، فإذا كان نوح–عليه السلام– بيّن لهم المقصود من دعوته، ألا وهي التقوى ونزول الرحمة، فإن هودًا– عليه السلام–أراد أن يعدّد نِعَم الله عليهم، ويحذرهم مما وقع فيه قوم نوح، وبذلك تحصل التقوى وتنزل الرحمة.

المبحث الثالث: الموازنة بين قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾ (ص:4)، وقوله تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ ﴾ ودلالتهما

مناسبة الآيتين لما قبلهما:" بعد أن أقسم الله سبحانه بالقرآن ذي الذكر والقرآن المجيد، استأنف الكلام فقال: (وعجبوا) و(بل عجبوا) "[1]، إلا أن الآية الأولى تخللها الحديث عن إهلاك الكفار السابقين، وجاء ندمهم بعد فوات الأوان، وأما الآية الثانية فقد خلت من ذلك.

ومن هنا يتبين لنا مناسبة الآيتين لما قبلهما بأنه بيان لموقف الكفار الأوّلي من القرآن الكريم، وهو التعجب والاستغراب.

وأما مناسبة الآيتين لما بعدهما فهو إلقاء الشبه والأباطيل على دعوة محمد–صلى الله عليه وسلم–من كونه يدعو إلى إله واحد، كما في الآية الأولى، وكونه يدعو إلى الإيمان بالبعث، كما في الآية الثانية على النحو الآتي:

لحاق الآية الأولى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾ (ص:4–8)

لحاق الآية الثانية: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥﴾ (ق:2–5)

ولما كانت الآيتان فيهما أوجه اتفاق واختلاف، جُزِّئ تفسيرهما إلى مطلبين، كالآتي:

المطلب الأول: تفسير أوجه الاتفاق، وهي:

1/ التعبير بالفعل (عجب) بصيغة الماضي مقترنًا بواو الجماعة، (عجبوا).

2/ مجيء المصدر المؤول، (أن جاءهم).

3/ التعبير عن فاعل المجيء بـ (منذر)، وبأنه (منهم)

4/ اتحاد المسند والمسند إليه ومقول القول (هذا)

أولًا: التعبير بالفعل (عجب) بصيغة الماضي مقترنًا بواو الجماعة، (عجبوا).

(1) انظر: مقاتل، تفسير مقاتل، (109/4).

مرّ معنا أن الفعل (عجب) يحتمل أحد معنيين، أحدهما التعبير عن شدة الرضا والاستحسان، وثانيهما: عن شدة الاستهجان والاستغراب. والمعنى الثاني هو المتعين هنا، فيكون المراد من الفعل (عجبوا): استبعدوا[1]، "ولم يكن ذلك منهم تكذيبًا، ولكن استغرابًا"[2]، وهذا فيه دلالة على أن العجب تجاه أوامر الله تعالى قد يقع من المؤمن والكافر[3]، ولا يوجب على صاحبه العذاب، إلا إذا وصل مرحلة التكذيب، فحينئذ يستحقه ويوجبه، قال تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ (ص:14)، ولو أن العجب كان محصورًا في الكافرين؛ لجاز التعبير عنه بالإضمار بقوله: (وقالوا هذا ساحر كذاب) بدل (وقال الكافرون)، ولذلك فقد يكون المراد من الواو المقترنة بواو الجماعة في (عجبوا) القوم كلهم مؤمنهم وكافرهم–وهو الأقرب–، ويجوز أن يكون المراد بالواو كفارهم فقط[4].

والتعبير عن الفعل (عجب) بالماضي دلالة على وقوع الفعل، أو حدوثه بشكل مطلق، فبمجرد نزول القرآن الكريم عليهم، وسماعهم لدعوة النبي–صلى الله عليه وسلم–حصل منهم هذا العجب.

ومنشأ تعجبهم من وجهين[5]، أحدهما: أنه جاء على غير عادتهم، فقاسوا الغائب على الشاهد، فقالوا: لا بد من حفظ العالم من آلهة كثيرة يتكفل كل واحد منهم بحفظ نوع آخر، وثانيهما: إطباق أسلافهم على الشرك مع كثرتهم وقوة عقولهم، واستبعاد أن يكونوا جاهلين بالتوحيد. ويدخل في هذا "إلفهم وأنسهم لما هم عليه، حتى ران على قلوبهم، وغشي على أبصارهم، ونسي باب النظر والاستدلال، بل محي بالكلية من بينهم"[6].

ثانيًا: مجيء المصدر المؤول، (أن جاءهم).

رغم أن المصدر الصريح أخصر من المصدر المؤول، إلا أنه جيء بالمؤول؛ لأنه يدل على حدث مقترن بزمان بخلاف الصريح، وذلك من خلال وجود الفعل الدال على الحدث (جاء)، ولما كان الفعل هنا ماضيًا دلّ على أن الحدث حصل ووقع منذ زمن، ولو جيء بالمصدر الصريح (مجيء) لدلّ على الحدث مجردًا عن الزمان، فلا يعرف أوقع في الماضي، أم أنه سيقع في الحال أو الاستقبال، فكان التعبير بالمصدر المؤول في هذا المقام فيه إقامة الحجة على المخالفين بداية الإنذار، إذ إنهم أعطوا الفرصة الكافية للتفكير بدعوته، والإيمان برسالته[7].

ثالثًا: التعبير عن فاعل المجيء بـ (منذر) و(منهم)

أوثر التعبير عن الرسول–صلى الله عليه وسلم–بالنذارة دون البشارة؛ لأنه لم يكن للبشارة موضع[8]، فكانوا على حال بعيدة عن رضا الرب–سبحانه وتعالى–، ولأن النذارة أقوى في الموعظة من البشارة.

(1) انظر: محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، (201/2).
(2) الماوردي، النكت والعيون، (340/5).
(3) انظر:محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (3/17).
(4) انظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (1049/12).
(5) انظر:الرازي، التفسير الكبير، (368/26).
(6) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، (240/8).
(7) انظر: عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، (97/1).
(8) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (124/28).

وأما وصفه بأنه (منهم) فقد كان من جنس البشر[1]، ولم يكن غير ذلك، بل أدون منهم في الرياسة الدنيوية والمال[2]، وكان منهم من العرب[3]، وكان مساويًا لهم في الخلقة الظاهرة، ومعروفًا بأخلاقه الطاهرة ونسبه الشريف، وبعيدًا عن الكذب والتهمة. وهذا فيه تنبيه على كمال جهالتهم بما يوجب الاعتراف وتصديقه، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩﴾ (المؤمنون:69)

رابعًا: اتحاد المسند والمسند إليه ومقول القول (هذا)

أما المسند الذي ذكر في الآيتين فهو (قال)، فبعد أن تعجب الناس من موقف الرسول–صلى الله عليه وسلم–ونذارته بقلوبهم وعلى وجوههم، جاء فعل اللسان لينتقل بأكثرهم من مرحلة التعجب إلى مرحلة التكذيب الصريح، فكان هذا القول هو ردة الفعل الأولية التي يستحقون عليها الحساب والعقاب.

وأما المسند إليه الذي ذكر في الآيتين فهو (الكافرون)، والمراد بهم هنا "المنكرون وحدانية الله تعالى"[4]، وجاء هذا الاسم مظهرًا بدلًا من الإضمار" إعلانًا للغضب عليهم وذمًا لهم، ودلالة على أنه لا يقولها إلا المتوغلون في الكفر، المنهمكون في الضلال"[5]، وللإشعار بتعنتهم بهذه المقولة، وأنهم مصرون عليها[6].

وأما الابتداء بمقول القول (هذا) فدلالة على أنه حاضر بينهم قريب منهم، سواء أكان المقصود محمد–صلى الله عليه وسلم، أم كان المقصود مجيء منذر منهم على وقوع البعث[7].

وأشاروا به إلى النبي–صلى الله عليه وسلم–للتحقير والسخرية من شخصه الكريم[8] ومما جاء به، ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن قولهم: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦﴾ (الأنبياء:36)، وقولهم: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١﴾ (الفرقان:41).

وعلى هذا فدلالة الجزء المكرر من الآيتين هو الاهتمام بهؤلاء القوم، وأن لهم منزلة دون غيرهم من الأقوام، فهم أهل السقاية والرعاية والحماية لبيت الله الحرام، وهم أفصح العرب، وبلسانهم نزل القرآن الكريم، وهم أولى الناس بالإيمان بمحمد–صلى الله عليه وسلم–لقرابتهم منه، ومعرفتهم به.

المطلب الثاني: تفسير أوجه الاختلاف بين الآيتين على النحو الآتي:

1/ الابتداء بحرف الواو في الآية الأولى، وبحرف (بل) في الآية الثانية.

2/ اقتران حرف الفاء بالفعل (قال) في الآية الأولى، وبحرف الواو في الآية الثانية.

---

(1)انظر: الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (583/5).

(2) انظر: محمد بن محمد أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (214/7).

(3) انظر:السمرقندي، بحر العلوم، (158/3)

(4) الطبري، جامع البيان، (149/21).

(5) الزمخشري، الكشاف، (72/4). والرازي، التفسير الكبير، (368/26).

(6) انظر:البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (139/5).

(7) انظر:عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، (11/18)،

(8) انظر: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (208/23)

3/ اختلاف مقول القول في الآية الأولى عن الثانية.

أولًا: الابتداء بحرف الواو في الآية الأولى، وبحرف (بل) في الآية الثانية.

كلا الحرفين حرفا عطف، إلا أن (الواو) يفيد الجمع والمشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه، و(بل) يفيد الإضراب عن المعطوف عليه، وجذب الانتباه للمعطوف.

وتفصيل ذلك في الآيتين كالآتي:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾ (ص:1-4)

الواو العاطفة في (وعجبوا)، أفادت أن الكفار الذي جاءتهم الرسل جمعوا بين حال التعالي عن الحق والخروج عنه-في عزة وشقاق-، وبين العجب المبني على مخالفة عاداتهم وأحوال أسلافهم. وأما جملة (كم أهلكنا) فهي معترضة[1]، فيكون التقدير: (في عزة وشقاق، وعجبوا).

وقيل: إن الواو هنا ليست عاطفة، بل هي حرف استئناف وابتداء، فيكون المعنى: ومن جهلهم أنهم أظهروا التعجب من مجيء منذر منهم[2].

وأما **الموضع الثاني:** في قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ (ق:1-2)، فإن (بل) العاطفة هنا أفادت الإضراب عن تمجيد القرآن، والانتقال إلى وصف الناس بالتعجب من مجيء المنذر.

والمراد بالإضراب هنا الإضراب الإبطالي[3]، فهو ليس إبطالًا محضًا، والمعنى أن سبب عدم إيمانهم ليس لنقص في مجد القرآن وعلوه، ولكن لأنهم عجبوا أن جاءهم منذر منهم[4]، وهذا يدل على أن بين المعطوف والمعطوف عليه تفاوتًا عظيمًا[5]، فإذا كان تمجيد القرآن أمرًا واقعًا لا مرية فيه، فإن عجبهم أمر واقع لا يستحق أن يكون موجودًا، "فهو إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب"[6].

ولا يخفى أن حرف (بل) سبق فعل (وعجبوا) الذي في سورة (ص)، وهذا يحمل دلالة أن (الواو)، يتضمن حرف (بل) ويقوم مقامه، وأما في سورة (ق) فإن (بل) تفيد أيضًا معنى التحقيق، بمعنى: (لقد عجبوا)[7].

(1) انظر :القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (149/15).
(2) انظر :القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (149/15)
(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (205/23).
(4) انظر :أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (125/8).
(5) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (123/28).
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (139/5).
(7) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (155/5).

وخلاصة القول أن المقصود من سورة (ص) الإخبار بجملة أفعال الكفار بالواو التي لا تفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا، وإنما تفيد الاشتراك والجمع[1]، وأما في سورة (ق) فمقصود بها لفت الانتباه من مجْدية القرآن وعظمته إلى تعجب الكفار من المبلغ عن هذا القرآن ودعوته–صلى الله عليه وسلم–أن يكون منهم.

ثانيًا: اقتران حرف الواو بالفعل (قال) في الآية الأولى، وبحرف الفاء في الآية الثانية

كلا الحرفين حرفا عطف[2]، ومر معنا أن الواو يفيد مطلق الجمع والمشاركة، وفيه دلالة على أن هذا القول من جملة مواقف الكفار في وصف الرسول–صلى الله عليه وسلم–بالساحر الكذاب، فلم يكن هذا القول من بداية أقوالهم، وأما الفاء فتفيد التعقيب، وفيه دلالة على عدم التريث بهذا القول في وصفهم بأن هذا شيء عجيب، وأنه كان من بداية أقوالهم تجاه الرسول ودعوته–صلى الله عليه وسلم–.

ثالثًا: اختلاف مقول القول في الآية الأولى عن الثانية

جاءت المقولة الأولى: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾، وجاءت المقولة الثانية: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾

أما الآية الأولى فقد كانت وصفًا خالصًا لشخص الرسول–صلى الله عليه وسلم–، وأما الثانية فقد كانت وصفًا لكون الرسول–صلى الله عليه وسلم–منهم وفيهم، وكلها ادعاءات باطلة، وكلمات فاسدة.

"ذلك أن الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله، ويدعو إلى طاعة الشيطان، وهو عندكم بالعكس من ذلك، والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه، وهو يخبر عن الصانع الحكيم، فكيف يكون كذابًا؟"[3].

ومن علامات الساحر أنه يجيء بالكلام المموه الذي يخدع به الناس، ويحاول أن يفرق بسحره بين الوالد وولده، والرجل وزوجته، ومن علامات الكذاب أنه يكون له سابقة في الكذب على الناس، وهذا كله منزه عنه محمد–صلى الله عليه وسلم–[4].

وأما وصفهم بأن هذا شيء عجيب، فمردود عليهم، فإذا عجبتم أن يكون المنذر منكم، ينذركم بالبعث والنشور، ويدعوكم إلى إله واحد، فلمَ لم تتعجبوا من أن تكون المنحوتات آلهة، وقد صنعتموها بيدكم، وتحت أعينكم وناظركم[5].

وخلاصة الكلام في الآيتين–إضافة لما سبق– أنهما تحويان جملًا مكررة، وجملًا غير مكررة، أما المكرر فهو حصول التعجب من الكفار أن يكون الرسول منهم، وأنهم لم يكتفوا بالتعجب، بل أتبعوه بالرد القولي أيضًا. ودلالة هذا التكرار تأكيد امتناع كفار قريش عن التوحيد، وشديد رفضهم لقبول الإيمان، فقد بلغت قسوة قلوبهم مبلغًا جعلهم يعتدون بأنفسهم، ويرون أنهم أفضل من غيرهم.

(1) انظر: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، (414/2).

(2) انظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن، (300/26).

3 الرازي، التفسير الكبير، (367/26).

4 انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (149/15).

5 انظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات، (245/3)، والماوردي، النكت والعيون، (340/5).

وأما غير المكرر فهو اختلاف مقولة الكفار، فمرة قالوا إن القرآن شيء عجيب، ومرة قالوا إن هذا الرسول ساحر كذاب، فهم بهذا جمعوا بين المساوئ كلها بتعجبهم؛ فأتبعه ذلك تكذيب الرسول، وتكذيب القرآن، وتكذيب الدعوة نفسها.

المبحث الرابع: الموازنة بين قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾، (التوبة:55)، **وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥﴾ (التوبة:85) ودلالتهما**

سباق ولحاق الآية الأولى: **﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ٥٤ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦ ﴾** (التوبة:54-56)

سباق ولحاق الآية الثانية: **﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦﴾** (التوبة:84-86)

مناسبة الآيتين لما قبلهما: لمّا كان الكلام السابق في الآيتين يتحدث عن المنافقين وصفاتهم من جبن ورياء وبخل، وعدم قبول الله تعالى لأعمال المنافقين الصالحة، وذلك بسبب كفرهم بالله ورسوله، دفع توهم المؤمنين من أن الأموال والأولاد التي أعطوها ليست من باب الكرامة والتفضل عليهم، وإنما أعطوها ابتلاء من الله تعالى ليعذبهم بها ويميتهم على الكفر.

وأما مناسبة الآيتين لما بعدهما: فهو بيانٌ لعلة إظهارهم للإيمان رغم خفاء كفرهم، وهو خوفهم من القتل والسبي[1].

ولما كانت الآيتان فيهما أوجه اتفاق واختلاف، جُزِّئ تفسيرهما إلى مطلبين، كالآتي:

المطلب الأول: تفسير أوجه الاختلاف، وهي:

1/ مجيء الفاء بعد الفعل (تعجبك) في الآية الأولى، ومجيء الواو بعد الفعل (تعجبك) في الثانية

2/ التأكيد بحرف (لا) في الآية الأولى، وعدم ذكره في الآية الثانية

3/ مجيء اللام مع الفعل (يعذبهم) في الآية الأولى، ومجيء (أن) في الآية الثانية

4/ ذكر الحياة في الآية الأولى، وعدم ذكره في الآية الثانية

(1) انظر: الطبري، جامع البيان، (295/14).

أولًا: مجيء الفاء بعد الفعل (تعجبك) في الآية الأولى، ومجيء الواو بعد الفعل (تعجبك) في الآية الثانية

مر معنا من قبلُ أن كلا الحرفين حرفا عطف، وأن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، والواو تفيد مطلق الجمع والمشاركة، إلا أن الفاء جاءت هنا بمنزلة الجزاء، والكلام الذي سبقها بمنزلة الشرط، فالكلام في قوة الشرط والجزاء، فناسبه موضع الفاء، والتقدير: إذا عرفت أحوالهم فلا تغتر بما لديهم، فجاءت بمنزلة العلة لما سبقها[1].

وأما الواو فمنسوق على قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ لمناسبة عطف على نهي قبله، (ولا تصل) و(ولا تقم)، فهو معطوف على نهي سابق أن يفعله، بخلاف الآية الأولى فإنه لم يسبقها نهي، فهم كارهون للإنفاق، ومعجبون بكثرة الأموال والأولاد، فنهاه الله عن الإعجاب بفاء التعقيب[2].

ثانيًا: مجيء حرف (لا) قبل ذكر الأولاد في الآية الأولى، وعدم ذكره في الآية الثانية

ذكر حرف (لا) في قوله تعالى:" ولا أولادهم"؛ تأكيدًا لنهيه-عليه الصلاة والسلام عن أن يلتفت إليهم تنزيهًا لقدره، ولما لم يكن في الآية الثانية معنى الاشتراط والجزاء يقتضي التأكيد لم تذكر[3]. وأيضًا: "جيء بحذف (لا) لأنه نهي عن الإعجاب بها مجتمعين، وجيء بذكرها؛ لأنه نهي عن كل واحد بعينه، فدلّ مجموع الاثنين على النهي بها مجتمعين ومنفردين"[4]. وأيضًا: ذكرت (لا)؛ لبيان أن الأولاد أعز وأشرف من الأموال عند بعضهم، ولم تذكر هناك لعدم التفاوت فيما بينهما عند بعضهم الآخر[5].

ثالثًا: مجيء اللام مع الفعل (يعذبهم) في الآية الأولى، ومجيء (أن) في الآية الثانية

ذكر اللام مناسب لما في الآية الأولى من التأكيد؛ إذ لا تقتضي تراخيًا، بخلاف الآية الثانية فإنها لم تبلغ مبلغ التأكيد كالأولى، وأن (أنْ) أشعرت بما فيها من التراخي، فإنها ليست من التأكيد في نمط الأولى[6]، وأيضًا: جيء باللام؛ لأنها مشعرة بالغلبة، ومفعول الإرادة محذوف، أي: إنما يريد الله اختبارهم ليعذبهم، وأتى بالمصدر المؤول (أنْ) وفعلها القائم مقام المفعولية؛ ليدلل على أن مصب الإرادة التعذيب، والمعنى: إنما يريد الله تعذيبهم، فاختلف متعلق الإرادة في الآيتين[7]، ويمكن أن يقال: جيء (باللام وبأن) من باب التفنن في الاختلاف في الألفاظ[8].

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (118/16).

(2) انظر: ابن الزبير، ملاك التأويل، (231/1-232)، وانظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (95/5).

(3) انظر: ابن الزبير، ملاك التأويل، (231/1-232).

(4) السمين الحلبي، الدر المصون، (95/5).

(5) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (118/16).

(6) انظر: ابن الزبير، ملاك التأويل، (231/1-232).

(7) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، (95/5).

(8) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (287/10).

رابعًا: ذكر (الحياة) في الآية الأولى، وعدم ذكره في الآية الثانية

ذكر (الحياة) قبل ذكر الدنيا ملائم للتأكيد الجاري فيها، أما التي لم تذكر فيها لفظة (الحياة) فلا تأكيد فيها، فناسب الاكتفاء بـ (الدنيا)[1]، "تنبيهًا على خسية الدنيا، وأنها لا تستحق أن تسمى حياة، لا سيما وقد ذكرت بعد موت المنافقين"[2].

المطلب الثاني: تفسير أوجه الاتفاق، وهي:

1/ المقصود من التعجب ودلالاته

2/ وجه التعذيب بالأموال والأولاد

3/ زهوق الأنفس على الكفر ودلالته

أولًا: المقصود من التعجب ودلالاته

الإعجاب هنا هو السرور بما يتعجب منه، فيكون المعنى: لا تنغرّ وتستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد، فإن العبد إذا كان مستدرجًا كثر ماله وولده[3].

وهذا اللفظ (فلا تعجبك) حقّر شأن المنافقين[4]، فإذا كان إعطاء الأموال والأولاد لهم أمر مستحسن في العموم، فلا تستحسنه فيهم يا محمد، ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الحياة الدنيا، لأنهم قد أوتوه ليعذبوا به[5].

والخطاب للنبي–صلى الله عليه وسلم–والمراد أمته، إذ هو بإجماع ممن لا تفتنه زخارف الدنيا، ويحتمل أن يكون معنى الآية: (ولا تعجبك) أيها الإنسان، والمراد الجنس[6].

ثانيًا: وجه التعذيب بالأموال والأولاد

ورد في معاني التعذيب بالأموال والأولاد وجوه[7]:

الأول: أن يعذبهم في الآخرة، وهذا قول ابن عباس وقتادة.

الثاني: أن يعذبهم بما فرضه الله من الزكاة في أموالهم، وهذا قول الحسن.

الثالث: ليعذبهم بالمصائب في أموالهم وأولادهم، وهذا قول ابن زيد، ورجحه البغوي[8].

الرابع: ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم من قبل المشركين، قاله بعض المتأخرين.

الخامس: ليعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها.

---

(1) انظر: ابن الزبير، ملاك التأويل، (231/1–232).

(2) الرازي، التفسير الكبير،(118/16). والسمين الحلبي، الدر المصون، (95/5).

(3) انظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، (1813/6). والسمعاني، تفسير القرآن، (318/2).

(4) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (45/3). وأبو حيان، البحر المحيط، (435/5).

(5) انظر: الزمخشري، الكشاف، (280/2).

(6) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، (68/3).

(7) انظر: الماوردي، النكت والعيون، (372/2).

(8) انظر: الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، (357/2).

وكل هذ المعاني صحيحة ومحتملة، وإن كان المعنى الأخير هو الأكثر والأقرب للمحسوس، وبيان ذلك من وجوه[1]:

الأول: حبهم الشديد لها، فإن بقيت وكثرت عندهم خافوا على فواتها، وإن ذهبت عنهم حزنوا على ذهابها.

الثاني: صعوبة اكتسابها والمحافظة عليها، فليس بالهين الحصول على المال والولد، وليس من الهين صونهما عن الهلاك.

الثالث: الانشغال بالأموال والأولاد كثيرًا يلهي عن ذكر الله، وكفى به عذابًا.

الرابع: أنهم مأمورون بالإنفاق في سبيل الله، وإرسال أولادهم على الجهاد، وهم غير مؤمنين بنبوته–صلى الله عليه وسلم–، وفي هذا مزيد تعذيب.

ولذلك حب المؤمن للدنيا فيه فتور؛ لأنه خلق للآخرة، بخلاف المنافق الذي يرى أنه لا سعادة إلا في الدنيا[2]. وسرُّ تقديم الأموال على الأولاد إما لعموم مساس الحاجة إليها في كل وقت وحين بخلاف الأولاد، فإنما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الأبوة، ولأن المال مناط لبقاء النفس، والأولاد لبقاء النوع، ولأن المال أقدم في الوجود من الأولاد؛ لأن الأجزاء المنوية تحصل من الأغذية[3].

ثالثًا: زهوق الأنفس على الكفر ودلالته

وأصل الزهوق الخروج بصعوبة[4]، والمعنى: فتخرج نفوسهم فيموتوا على الكفر، فيفارق ما أعطيته من المال والولد، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته، ووبالًا عليه في الآخرة بموته جاحدًا توحيد الله تعالى، ونبوة محمد–صلى الله عليه وسلم–[5]، وهذا فيه نص أن الله تعالى يريد أن يموتوا كافرين، سبق بذلك القضاء[6].

والمراد من ذلك الاستدراج بالنعم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمٗا﴾ (آل عمران:178)، كأنه قيل: ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون، ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة[7]؛ ليكون ذلك أنكى لهم، وأشد لعذابهم[8]. ودلت الآية على بطلان القول بالأصلح–والأصلح أن يموتوا على الإيمان–، وقد أراد الله لهم زهوق النفس والموتة على الكفر[9].

وجيء بالفعل المضارع (تزهق) للدلالة على تجدد حدوثه مرة بعد أخرى، وجيء بالجملة الحالية (وهم كافرون)؛ لأن الكفر صار سمة من سماتهم، لا تنفك عنهم بحال، حتى في خال خروج روحهم من جسدها.

---

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير، (75/16).
(2) انظر: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (485/3).
(3) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (90/4).
(4)انظر:البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (85/3).
(5) انظر: الطبري، جامع البيان، (295/14)، (411/14).
(6) انظر:القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (164/8).
(7) انظر:الزمخشري، الكشاف، (281/2).
(8) انظر:إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (163/4).
(9) انظر: عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (686/1).

وعلى هذا فدلالة الجزء المكرر من الآيتين لاختلاف حال المخاطب–وهم المنافقون–، وأن على المؤمن أن يكون حاله واحدًا تجاههم، سواء في حياتهم أو بعد مماتهم، فبذلك أزال الشبهة عن المؤمنين، وأن الصلاة عليهم والدعاء لهم في بعد مماتهم لا تجوز.

نتائج البحث

تمت دراسة الآيات المستهدفة، وبعد هذا التطواف على آيات العجب المتشابهة، تم التوصل إلى الآتي:

1/ مقدار التشابه بين الآيات المشتركة في التشابه متفاوت؛ فمنه ما كان تطابقًا تامًا إلا في حركة حرف، مثل قوله تعالى: ﴿عَجِبْتَ﴾ و﴿عَجِبْتُ﴾، ومنه ما كان التطابق في بداية السورة مع اختلاف في نهايتها، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ في الموضعين، ومنه ما كان التشابه في جميع الآية مع اختلاف يسير في ثناياها في بعض حروفها وكلماتها، مثل قوله تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ** ٥٥﴾، (التوبة:55)، مع قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ** ٨٥﴾ (التوبة:85)، وقوله تعالى: ﴿**وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ مع قوله تعالى: ﴿**بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ**﴾

2/ التحق بمادة (عجب) جملة من الضمائر، منها ضمير المتكلم والمخاطب، مثل: (عجبت) بفتح التاء وضمها، ومنها ضمير الجمع المتكلم، مثل: (أوعجبتم)، ومنها: ضمير الجمع الغائب، مثل: (وعجبوا)، وضمير كاف المخاطب، مثل: (تعجبك).

وهذا فيه دلالة على أن العجب قد يقع من الله تعالى، ومن نبيه–صلى الله عليه وسلم–تجاه الكفار، وقد يقع من الكفار تجاه دعوة الإسلام، وقد يقع من الإنسان تجاه أفعال المنافقين.

3/ مادة (عجب) من الأضداد، فقد تفيد الاستحسان والرضا، وقد تفيد الإنكار والاستبعاد.

4/ جاءت مادة (عجب) بمعنى الإنكار والاستبعاد في مواطن ثلاثة بصيغة الماضي، وهي: (عجبت، أوعجبتم، وعجبوا)، وجاءت بمعنى الاستحسان والرضا بصيغة الفعل المضارع، في قوله تعالى: (ولا تعجبك)، أي: لا تستحسن.

5/ تميزت آية ﴿عَجِبْتَ﴾ بأن فيها قراءتين، وأنها تثبت لله تعالى صفة العجب بوجه صريح على من قرأ بضم التاء.

6/ أفاد معنى العجب في قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ **(الأعراف:63)** التقرير والتوبيخ لأفعال الكفار.

7/ أفاد معنى (لعلكم) في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ و﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أن الفلاح والرحمة غير موجبتين على الله تعالى إذا عمل العبد بأسبابهما، وإنما الفلاح والرحمة تفضل منه سبحانه.

8/ خطاب قوم هود كان أكثر تفصيلًا من قوم نوح، وذلك لعظيم امتنان الله عليهم بكونهم أصبحوا خلفاء قوم نوح، وبزيادة خلقتهم وضخامة أجسامهم، فلا يقدر عليهم أحد، ويستطيعون بذلك فعل كثير من الأشياء، كبناء البيوت واتخاذ القصور في الجبال والسهول.

9/ منشأ تعجب الكفار أن الأمر جاء على غير عادتهم، ومخالفًا لطبائع أسلافهم مع كثرتهم وقوة عقولهم.

10/ أفاد معنى التعجب في قوله تعالى: (فلا تعجبك) تحقير شأن المنافقين، إذ لا ينبغي للمؤمن أن يستحسن أفعالهم ولا آثارهم من مال أو ولد.

توصيات البحث

1/ الإكثار من دراسة الآيات المتشابهة في اللفظ القرآني.

2/ الوقوف على أسرار التكرار القرآني، والتفرقة بينه وبين الركيك.

3/ الوقوف على المختلف في المتشابه اللفظي، وسر اختلافه في مواضع أخرى.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، 1419هـ، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز.
2. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو الخير،(د.ت)، *النشر في القراءات العشر*، تحقيق: علي محمد الضباع، (د.ط)، مصر، المطبعة التجارية الكبرى.
3. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، 1422هـ، *زاد المسير في علم التفسير*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.
4. ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم الثقفي أبو جعفر، (د.ت)، *ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل*، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، 1416هـ، *مجموع الفتاوى*، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط3، مصر، دار المعارف.
6. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، ١٣٢٦هـ، *تهذيب التهذيب*، ط1، الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية.
7. ابن حنبل، أحمد، 1421هـ، *المسند*، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
8. ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف، 1420هـ، *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي جميل، ط1، بيروت، دار الفكر.
9. ابن سلام، يحيى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، *تفسير يحيى بن سلام*، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
10. ابن سيده المرسي، علي بن إسماعيل، 1417هـ، *المخصص*، تحقيق:خليل إبراهيم جفال، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
11. ابن سيده المرسي، علي بن إسماعيل،1421هـ، *المحكم والمحيط الأعظم*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
12. ابن عادل الحنبلي، عمر بن علي الدمشقي النعماني، 1419هـ –1998م، *اللباب في علوم الكتاب*، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
13. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، 1984م، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، (د.ط)، تونس، الدار التونسية.
14. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، 1422هـ، *المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز*، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
15. ابن فارس، أحمد، 1399هـ، *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.ط)، بيروت، دار الفكر.
16. ابن كثير، إسماعيل بن كثير أبو الفداء، 1420هـ–1999م، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع.

17. ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، 1400هـ، *السبعة في القراءات*، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، مصر، دار المعارف.
18. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي،1414هـ، *لسان العرب*، ط3، بيروت، دار صادر.
19. أبو السعود، محمد بن محمد، (د.ت)، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث.
20. الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، 1405هـ، *الموسوعة القرآنية*، (د.ط)، مصر، مؤسسة سجل العرب.
21. البخاري، محمد بن إسماعيل، 1422هـ، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*، تحقيق: محمد زهير، ط1، بيروت، دار طوق النجاة.
22. البغوي، الحسين بن مسعود، 1420هـ، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث.
23. البيضاوي، عبد الله بن عمر، 1418هـ، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
24. التستري، سهل بن عبد الله، 1423هـ، *تفسير التستري*، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
25. حوى، سعيد، ١٤٢٤هـ، *الأساس في التفسير*، ط6، القاهرة، دار السلام.
26. الخطيب، عبد الكريم يونس، (د.ت)، *التفسير القرآني للقرآن*، (د.ط)، القاهرة، دار الفكر العربي.
27. درويش، محيي الدين بن أحمد، 1415هـ، *إعراب القرآن وبيانه*، ط4، حمص، دار الإرشاد.
28. الرازي، محمد بن عمر فخر الدين، 1420هـ، *التفسير الكبير*، ط3، بيروت، دار إحياء التراث.
29. الزجاج، إبراهيم بن السري، 1408هـ -1988م، *معاني القرآن وإعرابه*، تحقيق: عبد الجليل شلبي، ط1، بيروت، عالم الكتب.
30. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، 1407هـ، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي.
31. السمرقندي، نصر بن محمد، (د.ت)، *بحر العلوم*، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.
32. السمعاني، منصور بن أحمد، 1418هـ، *تفسير القرآن*، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخرون، ط1، الرياض، دار الوطن.
33. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم شهاب الدين، (د.ت)، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (د.ط)، دمشق، دار القلم.
34. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، 1412هـ، *نتائج الفكر في النحو*، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
35. السيوطي، جلال الدين، (د.ت)، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، (د.ط)، بيروت، دار الفكر.
36. صافي، محمود عبد الرحيم، 1418هـ، *الجدول في إعراب القرآن*، ط1، دمشق، دار الرشيد.

37. الطبري، محمد بن جرير، 2000م، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة.
38. الغرناطي، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، 1416هـ، *التسهيل لعلوم التنزيل*، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط1، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم.
39. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (د.ت)، *العين*، تحقيق: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (د.ط)، بيروت، مكتبة الهلال.
40. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، 1416هـ، *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، المحقق: محمد علي النجار، (د.ط)، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
41. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
42. القاسمي، محمد بن محمد، 1418هـ، *محاسن التأويل*، تحقيق: محمد باسل، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
43. القرطبي، محمد بن أحمد، 1384هـ-1964م، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية.
44. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك،(د.ت)، *لطائف الإشارات*، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
45. القيسي، الحسن بن عبد الله، 1408هـ، *إيضاح شواهد الإيضاح*، تحقيق: د. محمود الدعجاني، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
46. القيسي، مكي بن أبي طالب، 1429هـ، *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه*، تحقيق: الشاهد البوشيخي، ط1، الإمارات، جامعة الشارقة.
47. الماوردي، علي بن محمد البصري، (د.ت)، *النكت والعيون*، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.
48. مجاهد، مجاهد بن جبر، 1410هـ- 1989م، *تفسير مجاهد*، تحقيق: محمد عبد السلام، ط1، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة.
49. المراغي، أحمد مصطفى، 1365هـ، *تفسير المراغي*، ط1، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
50. مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، (د.ت)، *تاج العروس*، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.ط)، بيروت، دار الهداية.
51. مرعشلي، نديم، تقديم: عبد الله العلايلي، (د.ت)، *الصحاح في اللغة والعلوم*، (د.ط)، (د.ن).
52. مقاتل، مقاتل بن سليمان، 1423هـ، *تفسير مقاتل*، تحقيق: عبد الله شحاته، ط1، بيروت، دار إحياء التراث.
53. النسفي، عبد الله بن أحمد، 1419هـ -1998م، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط1، بيروت، دار الكلم الطيب.
54. النيسابوري، الحسن بن محمد، 1416هـ، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

55. الواحدي، علي بن أحمد، 1415هـ -1994م، *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

56. الواحدي، علي بن أحمد، 1415هـ، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: صفوان الداودي، ط1، بيروت، دار القلم.

Sources and references

1. Ibn Abi Hatim, Abd al-Rahman bin Muhammad, 1419 AH, interpretation of the Great Qur'an, (In Arabic), investigated by: Asaad Muhammad al-Tayyib, 3rd edition, Saudi Arabia, Nizar Mustafa al-Baz Library.
2. Ibn al-Jazari, Muhammad ibn Muhammad ibn Yusuf Shams al-Din Abu al-Khair, (d. T), publication in the ten readings, (In Arabic), investigation: Ali Muhammad al-Daba`, (d.), Egypt, the major commercial printing press.
3. Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali, 1422 AH, Zad al-Masir fi 'Ilm al-Tafsir, (In Arabic), achieved by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, 1, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi.
4. Ibn Al-Zubayr Al-Gharnati, Ahmed bin Ibrahim Al-Thaqafi Abu Jaafar, (D.T), the angel of definitive interpretation of people with atheism and disruption, (In Arabic), put his footnotes: Abdul Ghani Muhammad Ali Al-Fassi, (D.T), Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
5. Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim Al-Harrani, 1416 AH, Majmoo' Al-Fatwa, (In Arabic), investigation: Abdul-Rahman bin Muhammad bin Qasim, 3rd edition, Egypt, Dar Al-Maaref.
6. Ibn Hajar Al-Asqalani, Abu Al-Fadl Ahmed bin Ali bin Muhammad bin Ahmed, 1326 AH, - Tahdheeb Al-Tahdheeb, (In Arabic), 1st Edition, India, Nizamiyah Encyclopedia Press.
7. Ibn Hanbal, Ahmad, 1421 AH, Al-Musnad, (In Arabic), investigation: Sheikh Shuaib Al-Arnaout, 1, Beirut, Al-Resala Foundation.
8. Ibn Hayyan, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf, 1420 AH, Al-Bahr Al-Moheet fi Tafsir, (In Arabic), investigation: Sidqi Jamil, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Fikr.
9. Ibn Salam, Yahya, 1425 A.H. - 2004 A.D., Tafsir Yahya Bin Salam, (In Arabic), investigation: Dr. Hind Shalabi, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
10. Ibn Sayyida Al-Mursi, Ali bin Ismail, 1417 AH, dedicated, (In Arabic), investigated by: Khalil Ibrahim Jaffal, 1st edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
11. Ibn Sayyida Al-Mursi, Ali bin Ismail, 1421 AH, the arbitrator and the greatest ocean, (In Arabic), investigation: Abdul Hamid Hindawi, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
12. Ibn Adel al-Hanbali, Omar bin Ali al-Dimashqi al-Nu'mani, 1419 AH -1998 AD, Al-Labbab fi Ulum al-Kitab, (In Arabic), investigated by: Sheikh Adel Ahmed Abdel-Mawgod and Sheikh Ali Muhammad Moawad, 1, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
13. Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher bin Muhammad, 1984 AD, Editing the Good Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book, (In Arabic), (Dr. I), Tunis, Tunisian House.
14. Ibn Attia, Abd al-Haq ibn Ghalib, 1422 AH, the brief editor in the interpretation of the dear book of God, (In Arabic), investigation: Abd al-Salam Abd al-Shafi, 1st edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
15. Ibn Faris, Ahmad, 1399 AH, Language Standards, (In Arabic), investigated by: Abdel Salam Haroun, (d. I), Beirut, Dar Al-Fikr.
16. Ibn Kathir, Ismail bin Kathir Abu Al-Fida, 1420 AH-1999 AD, Interpretation of the Great Qur'an, (In Arabic), investigation: Sami bin Muhammad Salama, 2nd Edition, Saudi Arabia, Taibah Publishing and Distribution.

17. Ibn Mujahid, Ahmed bin Musa bin Abbas Al-Tamimi Al-Baghdadi, 1400 AH, The Seven in the Readings, (In Arabic), investigation: Shawqi Dhaif, 2nd Edition, Egypt, Dar Al-Maaref.
18. Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram bin Ali, 1414 AH, Lisan Al Arab, (In Arabic), 3rd edition, Beirut, Dar Sader.
19. Abu Al-Saud, Muhammad Bin Muhammad, (D.T), Guiding a sound mind to the merits of the Holy Book, (In Arabic), (D.T), Beirut, Heritage Revival House.
20. Al-Abyari, Ibrahim bin Ismail, 1405 AH, the Qur'anic Encyclopedia, (In Arabic), (d.), Egypt, Arab Record Foundation.
21. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, 1422 A.H., Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar from the Matters of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, his Sunnah and his days, (In Arabic), achieved by: Muhammad Zuhair, 1st Edition, Beirut, Dar Touq Al-Najat.
22. Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud, 1420 AH, Milestones of Downloading in the Interpretation of the Qur'an, (In Arabic), investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, 1, Beirut, Heritage Revival House.
23. Al-Baydawi, Abdullah bin Omar, 1418 AH, The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation, (In Arabic), Investigation: Muhammad Abdul Rahman Al-Mara'ashli, 1st Edition, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.
24. Al-Tastari, Sahel bin Abdullah, 1423 AH, Tafsir Al-Tastari, (In Arabic), investigation: Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, 1, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
25. Hawwa, Saeed, 1424 AH, The Basis of Interpretation, (In Arabic), 6th Edition, Cairo, Dar al-Salaam.
26. Al-Khatib, Abdul Karim Younis, (D.T), The Qur'anic Interpretation of the Qur'an, (In Arabic), (D.T), Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi.
27. Darwish, Muhyi al-Din bin Ahmed, 1415 AH, The Expression and Explanation of the Qur'an, (In Arabic), 4th Edition, Homs, Dar Al-Irshad.
28. Al-Razi, Muhammad bin Omar Fakhr Al-Din, 1420 AH, Al-Tafsir Al-Kabeer, 3rd Edition, Beirut, Heritage Revival House .(In Arabic),
29. Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sari, 1408 AH -1988 AD, Meanings and Syntax of the Qur'an, (In Arabic), investigation: Abdul Jalil Shalabi, 1st Edition, Beirut, World of Books.
30. Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr bin Ahmed, 1407 AH, Al-Kashf about the facts of the mysteries of revelation and the eyes of gossip in the faces of interpretation, (In Arabic), 3rd edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
31. Al-Samarqandi, Nasr bin Muhammad, (d.), Bahr al-Uloom, (In Arabic), (d.), Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
32. Al-Samani, Mansour bin Ahmed, 1418 AH, Interpretation of the Qur'an, (In Arabic), achieved by: Yasser bin Ibrahim and others, 1st edition, Riyadh, Dar Al-Watan.
33. Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef bin Abdul-Daim Shihab Al-Din, (D.T), Al-Dur Al-Masoon fi Al-Kitab Al-Kitun Al-Kitun, (In Arabic), investigated by: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, (D. T), Damascus, Dar Al-Qalam.
34. Al-Suhaili, Abd al-Rahman bin Abdullah, 1412 AH, Results of Thought in Grammar, (In Arabic), 1st Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
35. Al-Suyuti, Jalal Al-Din, (d. T), Al-Durr Al-Manthur in the interpretation of the maxim, (In Arabic), (d. T), Beirut, Dar Al-Fikr.
36. Safi, Mahmoud Abd al-Rahim, 1418 AH, The Table in the Expression of the Qur'an, (In Arabic), 1st Edition, Damascus, Dar al-Rasheed.

37. Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, 2000 AD, Jami' al-Bayan on Interpretation of the Verses of the Qur'an, (In Arabic), investigation: Ahmed Muhammad Shaker, (d.), Beirut, Al-Resala Foundation.
38. Al-Gharnati, Muhammad bin Ahmed bin Juzy Al-Kalbi, 1416 AH, Al-Tashil for the Science of Revelation, (In Arabic), investigation: Dr. Abdullah Al-Khalidi, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam.
39. Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed, (D.T), Al-Ain, (In Arabic), investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai, (Dr.), Beirut, Al-Hilal Library.
40. Al-Fayrouz Abadi, Majd Al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub, 1416 AH, Insights with Discrimination in the Ta'if Al-Kitab Al-Aziz, (In Arabic), Investigator: Muhammad Ali Al-Najjar, (Dr.), Cairo, Islamic Heritage Revival Committee.
41. Al-Fayrouz Abadi, Majd Al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub, 1426 AH - 2005 AD, the surrounding dictionary, (In Arabic), investigation: Heritage Investigation Office at the Resala Foundation, 8th floor, Beirut, Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution.
42. Al-Qasimi, Muhammad bin Muhammad, 1418 AH, the merits of interpretation, (In Arabic), investigation: Muhammad Basil, 1st edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
43. Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed, 1384 AH-1964 AD, The Collector of the provisions of the Qur'an, (In Arabic), achieved by: Ahmad Al-Baradouni, 2nd Edition, Cairo, Egyptian Book House.
44. Al-Qushayri, Abdul Karim bin Hawazen bin Abdul Malik, (d. T), Latif Al-Asharat, (In Arabic), investigation: Ibrahim Al-Basiouni, 3rd edition, Egypt, the Egyptian General Book Authority.
45. Al-Qaisi, Al-Hasan bin Abdullah, 1408 A.H., Clarifying the Evidence of Clarification, (In Arabic), Investigation: Dr. Mahmoud Al-Dajani, 1st floor, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami.
46. Al-Qaisi, Makki bin Abi Talib, 1429 AH, Guidance to the End in the Science of Meanings, Interpretation, Judgments and Phrases of the Arts of its Sciences, (In Arabic), achieved by: Al-Shahid Al-Bushikhi, 1st Edition, Emirates, University of Sharjah.
47. Al-Mawardi, Ali bin Muhammad Al-Basri, (d. T), Jokes and Eyes, (In Arabic), Investigation: Al-Sayyid bin Abdul-Maqsoud bin Abdul Rahim, (D. T), Beirut, Scientific Books House.
48. Mujahid, Mujahid bin Jabr, 1410 AH - 1989 AD, Mujahid's interpretation, (In Arabic), investigation: Muhammad Abd al-Salam, 1st edition, Egypt, House of Modern Islamic Thought.
49. Al-Maraghi, Ahmed Mustafa, 1365 AH, Tafsir Al-Maraghi, (In Arabic), 1st edition, Cairo, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press.
50. Mortada Al-Zubaidi, Muhammad Bin Muhammad, (d.), Taj Al-Arous, (In Arabic), investigation: a group of investigators, (d.), Beirut, Dar Al-Hedaya.
51. Maraachli, Nadim, presented by: Abdullah Al-Alayli, (d. T), Al-Sahah in Language and Science, (In Arabic), (d.), (d. n).
52. Muqatil, Muqatil bin Suleiman, 1423 AH, Muqatil interpretation, (In Arabic), investigation: Abdullah Shehata, 1st edition, Beirut, Dar Revival of Heritage.
53. Al-Nasafi, Abdullah bin Ahmed, 1419 AH -1998 AD, Perceptions of Revelation and the Realities of Interpretation, (In Arabic), investigation: Youssef Ali Badawi, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kalim Al-Tayyib.
54. Al-Nisaburi, Al-Hasan bin Muhammad, 1416 AH, The Oddities of the Qur'an and the Raghaib Al-Furqan, (In Arabic), achieved by: Sheikh Zakaria Omairat, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

55. Al-Wahidi, Ali bin Ahmed, 1415 AH -1994AD, the mediator in the interpretation of the Glorious Qur'an, (In Arabic), achieved by: Sheikh Adel Abdel-Mawgod, 1, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
56. Al-Wahidi, Ali bin Ahmed, 1415 AH, Al-Wajeez fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz, (In Arabic), achieved by: Safwan Al-Daoudi, 1, Beirut, Dar Al-Qalam.